

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخاطبا عباده المؤمنين الذين أصيبوا يوم أحد وقتل منهم سبعون { قد خلت من قبلكم سنن } أي قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين ولهذا قال تعالى : { فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين } ثم قال تعالى : { هذا بيان للناس } يعني القرآن فيه بيان الأمور على جليتها وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم { وهدى وموعظة } يعني القرآن فيه خير ما قبلكم و { هدى } لقلوبكم و { موعظة للمتقين } أي زاجر عن المحارم والمآثم ثم قال تعالى مسلما للمؤمنين { ولا تهنوا } أي لا تضعفوا بسبب ما جرى { ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين } أي العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون { إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله } أي إن كنتم قد أصابتم جراح وقتل منكم طائفة فقد أصاب أعداءكم قرح من ذلك من قتل وجراح { وتلك الأيام نداولها بين الناس } أي نديل عليكم الأعداء تارة وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة ولهذا قال تعالى : { وليعلم الذين آمنوا } قال ابن عباس : في مثل هذا لنرى من يصبر على مناجزة الأعداء { ويتخذ منكم شهداء } يعني يقتلون في سبيله ويبدلون مهجهم في مرضاته { وإنا لا يحب الظالمين * وليمحص الذين آمنوا } أي يكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به وقوله { ويمحق الكافرين } أي فإنهم إذا طفروا بغوا ويطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحقهم وفنائهم ثم قال تعالى : { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين } أي أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد كما قال تعالى في سورة البقرة { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا } الآية وقال تعالى : { ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون } الآية ولهذا قال ههنا { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين } أي لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا ويرى الذين جاهدوا منكم المجاهدين في سبيله والصابرين على مقاومة الأعداء وقوله { ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون } أي قد كنتم أيها المؤمنون قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدو وتتحرقون عليهم وتودون مناجزتهم ومصابتهم فها قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه فدونكم فقاتلوا وصابروا وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف] ولهذا قال تعالى : { فقد رأيتموه

{ يعني الموت شاهدتموه وقت لمعان السيوف وحد الأسنان واشتباك الرماح وصفوف الرجال للقتال
والمتكلمون يعبرون عن هذا بالتخييل وهو مشاهدة ما ليس بمحسوس كالمحسوس كما تتخيل الشاة
صداقة الكبش وعداوة الذئب